

Received/ Geliş
26.5.2018

Accepted/ Kabul
8.9.2018

Available Online/yayınlanma
1.10.2018

المستشرقون والسيرة النبوية

أ.م.د. محمد علي محمد عفين

جامعة الموصل / كلية الآداب - قسم التاريخ

الملخص

كثيرة هي الدراسات التي قدمت من المستشرقين وكان لهم دور اساسي في عدة مجالات حيث عنوا بالعالم الشرقي في اجاثهم ودراساتهم بصورة عامة والعالم الاسلامي بصورة خاصة , فتعددت الدراسات والأبحاث حول القران الكريم , والسنة النبوية الشريفة , والتاريخ الاسلامي .

تعد السيرة النبوية , من بين تلك المواضيع التي حظيت باهتمام بالغ من لدن المستشرقين , فظهرت العديد من المؤلفات والكتب عن سيرة الرسول محمد [p] بمختلف اللغات , مما يبين اهمية هذا الموضوع , ونحاول من خلال هذه الدراسة تحت عنوان ((المستشرقون والسيرة النبوية)) ان نرد على بعض الآراء الاي قدمت من بعض المستشرقين .

لكن الشيء الذي ينبغي قوله هو انه من يكتب عن السيرة النبوية - من المستشرقين وغيرهم - ينبغي عليهم ان يضعوا امام اعينهم شيعين رئيسيين :

1. الايمان بنبوة الرسول محمد. [p] ان الايمان بنبوته هو ايمان بالإسلام على اعتبار ان احد اركان الاسلام هو الايمان بالله والرسول محمد. [p] .

2. النقطة الالهة التي ينبغي ان تتوفر عند باحثي السيرة النبوية هو تحري الدقة والموضوعية , وألا فان اعمالهم لا قيمة علمية لها .

Abstract

Many studies have been presented by the orientalists as well as the key part they had in several fields as they gave a great interest to the Eastern world in their research and studies in general and the Islamic world in particular. There have been numerous studies and researches on the Holy Quran, Sunnah and Islamic history.

The biography of the Prophet, is among those subjects that received a great attention from orientalists, and consequently many books and references that tackle the biography of the Prophet Muhammad appeared in various languages, which shows the importance of this subject. We try through this study which is entitled ((The Orientalists and the Prophet's Seera)) to answer back some of the views submitted by some orientalists.

But what is worth mentioning here is that the one who writes about the biography of the Prophet - Orientalists and others - must put before his eyes two main things:

1. The faith in the Prophecy of the Prophet Muhammad. [peace be upon him] and the faith in his prophecy is the belief in Islam on the grounds that one of the pillars of Islam is the belief in Allah and the Apostle
2. . The most important point that should characterize the researchers of the Prophet's biography is investigating accuracy and objectivity, otherwise their work would not have a scientific value.

المقدمة

كثيرة هي الدراسات التي قُدمت عن المستشرقين ومواقفهم وفي عدة مجالات والذين عنوا بالعالم الشرقي في أبحاثهم ودراساتهم عمومًا والعالم الإسلامي خصوصًا، فتعددت الدراسات والأبحاث حول القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي.

وتعدّ السيرة النبوية من بين تلك المواضيع التي حظيت باهتمام بالغ من لدن المستشرقين، فظهرت العديد من المؤلفات والكتب عن سيرة الرسول محمد [p] بمختلف اللغات، مما يبيّن أهمية هذا الموضوع، ونحاول في هذه الدراسة الموسومة بـ((المستشرقون والسيرة النبوية)) أن نردّ على بعض الآراء التي أثارها المستشرقون .

وتكمن أهمية الدراسة في دفاعها عن الشبهات التي تمس حياة الرسول محمد [p] والردّ على المستشرقين المتعصبين، الذين حاولوا الطعن بالإسلام والرسول محمد [p] .

تتضمن الدراسة مقدمة وثلاثة مباحث فضلاً عن الخاتمة، تناول المبحث الأوّل خلفية تاريخية عن الاستشراق وتعريف عام بالاستشراق والمستشرقين، ودوافعهم وأهدافهم .

وحُصِّص المبحث الثاني لأبرز المستشرقين الذين اهتموا بالسيرة النبوية وكيفية تصورهم لسيرة الرسول [p] فضلاً عن ذكر موضوعات بارزة منها قصة (بجيرا الراهب) إذ يزعم المستشرقين أنّ الرسول محمد [p] تعلم على يد هذا الراهب، وكذلك قضية الصدع التي اختلقها المستشرقون والمبشرون للتشكيك في الوحي المنزل على الرسول محمد [p] ، لذا كُرِّست هذه الدراسة للرد على المستشرقين استنادًا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أمّا المبحث الثالث ، فقد تناول موقف المستشرقين من القضايا الشخصية للرسول محمد [p] ومن بينها زواجه من السيدة (خديجة بنت خويلد) [τ] .

واخيراً أرجو أني قدّمت شيئاً في هذا البحث المتواضع , ولا أقول اني اكملته على وجه التمام, لان الكمال لله وحده . ومن الله السداد والتوفيق .

المبحث الاول

الخلفية التاريخية للاستشراق

أولاً : تعريف الاستشراق :

كلمة الاستشراق لفظة مولدة من لفظ (استشرق)المأخوذ من شرق اي مستشرق واستعملها المحدثون ترجمة لكلمة **Orientalism** التي تدل على معنى مستشرقون, وهو مصطلح يطلق على علم الشرق او علم العالم الشرقي , وتعبير آخر علم يدرس تراث الشرق واديانه وآدابه وحضاراته وشعوبه واوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وكل ما يتعلق بشؤونه, فالمستشرق عالم غربي اهتم بالدراسات الشرقية عقدية كانت او تاريخية او ادبية او حضارية .⁽¹⁾

أمّا المستشرقون فهم الذين يقومون بالدراسات والأبحاث الشرقية من غير الشرقيين أي أهم جماعة من الكتاب والمؤرخين الأجانب الذين خصصوا جزءاً كبيراً من حياتهم لدراسة المواضيع المتعلقة بالشرق من تراث وآداب ولغات ... ويجب أن لا يفهم بأن هذا المصطلح على كل مؤرخ وكاتب وباحث أوربي, بل أنه يقتصر على كل من انصب اهتمامه بالدراسات الشرقية وأن يعرف لغته⁽²⁾ .

ثانياً : الخلفية التاريخية :

يرى بعض الباحثين أن من الصعوبة تحديد البواكير الاولى لحركة الاستشراق⁽³⁾, لأن مصطلح (الاستشراق) لم يظهر جلياً وبشكل واضح ودقيق إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر⁽⁴⁾ .

¹ الاستشراق والخليفة الفكرية للصراع الحضاري, محمودحمدي زقزوق , دار المنار, (القاهرة,1989),ص24, اجنحة المكر الثلاثة, عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني, دار القلم للطباعة والنشر, (دمشق, 1994), ص118, الموجز في الاديان والمذاهب, ناصر بن عبدالله القفازي, دار الصمعي للنشر والتوزيع, (الرياض, 1992), ص174, اراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره, عمر ابراهيم رضوان, دار طيبة للنشر والتوزيع, (الرياض , د.ت), ج1, ص23.

² . محاضرات القيت في دورة العلوم الشرعية الخامسة, بماء الدين , الاستشراق , في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بدهوك للفترة 7/27-1996/8/11 .

³ . زقزوق, المصدر السابق.

⁴ . استقر مصطلح الاستشراق Orientalism في المؤتمر الاول للمستشرقين الذي انعقد في باريس سنة 1873, الاستشراق , (بحث منشور في مجلة الاستشراق) العدد (1), ص 23.

ومع ذلك فقد ذهب بعض الباحثين الأوروبيين إلى تحديد الفترة الزمنية المعينة على وجه التقريب لكي تعد بداية للاستشراق , ويؤكدون بان الاستشراق ان صح التعبير قام على اكتاف الرهبان ورجال الدين المسيحيين , على اعتبار ان العلم كان حكرا عليهم دون غيرهم . ويشيرون إلى العالم النصراني ((يوحنا الدمشقي)) (676-749م) الذي صنف كتابين لاجل حماية اخوانه النصارى . (محاورة مع مسلم) وكتاب (ارشادات النصارى في جدل المسلمين)⁽⁵⁾

ولكننا لا نقدر ان نعتبر مثل هذه المحاولات بداية للاستشراق , لان ((يوحنا الدمشقي)) لم يكن غريبا بل كان رجلا شرقيا, عاش في ظل الدولة الاموية وخدم القصر الاموي⁽⁶⁾

هناك من الباحثين من يرجعون البواكير الاولى للاستشراق إلى القرن(10)م⁽⁷⁾ , ويكاد يتفق اغلب الباحثين على تحديد هذه الفترة كبداية اولي لظهور هذه الحركة, وترى هذه الفئة انه يمكن اعتبار الراهب الفرنسي (Gerberdy orliyak جيريردي أورلياك), من أوائل المستشرقين -ان صح التعبير-⁽⁸⁾ لقد قصد هذا الراهب الاندلس بغية العلم, وتلمذ على ايدي اساتذتها في اشبيلية وقرطبة, ثم غادر الاندلس متجها إلى روما إذ تقلد منصب البابوية هناك باسم (سلنتر الثاني). وبعد ذلك انتقل إلى بلاط (اوتو الكبير) ملك جرمانية وامبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة (962-973م)⁽⁹⁾.

في حين ان هناك من الباحثين من يرجعون سنة 1146 البداية الاولى للاستشراق إلى مطلع القرن(11)م, بينما يرى المستشرق الالماني (رودي بارت Rudi paret) ان البداية الاولى لهذه الحركة تعود إلى القرن (12)م, ففي هذا القرن تم ترجمة معاني القران الكريم , ولأول مرة إلى اللغة اللاتينية وبدعوة من القديس (بطرس المحترم)⁽¹⁰⁾.

توالى اهتمام الأوروبيين بعلوم الشرق والاستفادة منها, لاسيما علوم المسلمين, ففي انكلترا برز الراهب الانكليزي ((Adelard اديلارد)) الذي درس الفلسفة في فرنسا ومانيا وزار الشرق وزار الشام ومصر وكان له الفضل في نقل

⁵ . زقزوق, المصدر السابق, ص25.

⁶ . المصدر نفسه, ص 26 .

⁷ . المصدر نفسه, ص27, (بحث منشور في مجلة الاستشراق), عمر فروخ, المستشرقون, العدد(1), ص 54.

⁸ . رغم تأكيد هؤلاء الباحثين على اعتبار الراهب (جرير) من اوائل المستشرقين, فلم اجد السبب الذي دعا بهم الى جعل هذا الراهب من أوائل المستشرقين, ومن المحتمل ان ذلك يعود الى ان هذا الراهب هو اول من نقل الارقام العربية الى أوربا . نادر, اهتمام المستشرقين, (بحث في مجلة الاستشراق), العدد (1), ص 54.

⁹ . فروخ, المصدر السابق, ص 106.

¹⁰ . زقزوق, المصدر السابق, ص26.

عدد من الكتب العربية , ولا سيما المتعلقة بالفلك والرياضيات, وفي ايطاليا برز (جيرارد القرموني)ت 583 هـ - 1187م), الذي قام بنقل ما يقارب (80) كتابا من العربية إلى اللاتينية تخصص الرياضيات والمنطق والطب وغيرها من الاختصاصات.

وفي القرن (16)م بدأ الاستشراق بالمعنى المقصود -على حد تعبير احد الباحثين- واستخدمت هذه الدراسات المصلحة السياسية الاوربية, إذ كانت الاوساط السياسية الاوربية تعين هؤلاء المستشرقين كسفراء في البلاد الإسلامية⁽¹¹⁾ ومن الجدير بالذكر ان اول ظهور لكلمة (مستشرق) باللغة الانكليزية سنة 1779, كما دخلت في معجم الاكاديمية الفرنسية سنة 1838, ثم تطورت الدراسات المعنية بالشرق شيئا فشيئا , وظهر مصطلح (الاستشراق Orientalism) في المؤتمر الاول للمستشرقين بباريس الذين تعينهم الدراسات العربية . وفي المؤتمر الاستشراقي الثاني والثلاثين الذي انعقد في هامبورغ سنة 1986, اكد على التخصص في (الدراسات الاسيوية والافريقية Asian and north african rabists)⁽¹²⁾

ثالثا: اهداف ودوافع الاستشراق

ليس من المعقول ان نبذل جهدا وعناء في شيء ما , دون ان يكون لنا غاية وغرض من الجهد الذي نبذله . وينطبق ما قلناه على المستشرقين , فهذا الجهد الذي يبذلونه والمشقة التي يعانوها ويتزكون اهلهم واطانهم لأجل معرفة اسرار الشرق , لا يكون من وراءه الا هدف او اهداف ودوافع.

وسنحاول - بشيء من الاجاز - أن نتحدث عن هذه الدوافع مركزين على الدافعين (الديني والعلمي) , وهذه الدوافع هي :

أ- الدافع الديني :

لقد اتخذوا هذا الدافع - منذ البداية وحتى الوقت الحاضر - اتجاهات ثلاث , هي :-

1. محاربة الإسلام بزعمهم بانه - اي الإسلام - مأخوذ من النصرانية واليهودية, وحاشا الرسول, والتقليل من قدر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتشويه سيرته وتصويره بصور مشوهة , وغير ذلك من الاتهامات والافتراءات على الإسلام والقران الكريم⁽¹³⁾ .

¹¹ . فروخ, المصدر السابق, ص 54-55.

¹² . رضوان, المصدر السابق, ص23; فروخ, المصدر السابق , ص 55-56.

¹³ . بماء الدين, المصدر السابق, ص86.

2. حماية النصارى من خطر الإسلام _ حسب رؤيتهم _ ومنع انتشاره بينهم ، خوفا من ضياع سلطة الكنيسة⁽¹⁴⁾ .

3. تنصير المسلمين.

يمكننا القول في هذا الموضوع بأن حركة الاستشراق قامت في بادئ الامر اكتاف الرهبان ورجال الدين المسيحيين . لقد قذف الله في قلوب هؤلاء الرعب ، بعدما رأوا التفوق العسكري للمسلمين في الحروب الصليبية _ بالأخص _ وانتصاراتهم الباهرة فيها ، فضلاً عن تقدم المسلمين من الناحية العلمية والعمرائية وغيرها من النواحي ، الامر الذي ادى هؤلاء الرهبان والقساوسة لمعرفة سر المسلمين هذه ، وتقدمهم في النواحي العلمية والعمرائية⁽¹⁵⁾ ، ولأجل هذا كله نراهم يدعون إلى نقل المعركة من ساحة الحروب والقتال إلى حقل الفكر والمعرفة . فدعا القديس ((بطرس المحترم)) إلى ترجمة القرآن الكريم ومعانيه ، باعتباره المصدر التشريعي الاول للمسلمين ، وأكد في كلامه بان : ((القرآن منبع الزندقات وسبب الحركات الهدامة التي تهدد المسيحية فاذا اريد القضاء عليه فلا بد من دراسته والدعوة إلى انه تعارض وتضارب وتناقض وأن فيه ما يرفضه العقل))⁽¹⁶⁾ .

وعلاوة على ما ورد ، فقد اهتم القساوسة بان اللغة العربية ، ودعوا إلى ادخالها في مناهج الدراسات الجامعية ، لاعتبارها هذه اللغة لغة القرآن الكريم .

فبواسطة هذه اللغة يمكن معرفة مقاصد القرآن بشكل واضح ، ونتيجة لذلك فقد تقرر مجمع (فيينا) الذي انعقد (1312م) ، ادخال اللغة العربية إلى جامعات اوروبا⁽¹⁷⁾ .

يتبين مما ذكرنا اعلاه بان هدف هؤلاء الرهبان لم يكن علميا ، والاستفادة من علوم القران وقواعد اللغة العربية ، بقدر ما كان دينيا صرفا يتوخى محاربة الإسلام والطعن فيه وفي رسوله والكتاب المنزل عليه ونشر الاباطيل والافتراءات على الإسلام والرسول دون الاستناد على الادلة والبراهين، فهذا احد الرهبان ويدعى (Gibbert جيبيرت) لم تكن لديه اية فكرة عن الرسول (ص) والعصر الذي عاش فيه ولكنه يعترف بانه كان مضطرا إلى مهاجمة الرسول والطعن فيه لكونه احد رجال الكنيسة⁽¹⁸⁾ .

ولما تيقن رجال الكنيسة بقوة الإسلام ومثابته وخافوا منه لأنه سيشكل خطرا على المسيحية او بالأحرى خطرا على مصالحه الكنسية وتهديدا لأموالهم وثرواتهم فوجدوا ان احسن وسيلة للوقوف بوجه هذا الخطر هو الطعن في الإسلام

¹⁴ . المصدر نفسه، ص87.

¹⁵ . موقف المشاركة، محمود حسين، (بحث منشور في مجلة الاستشراق)، العدد(1)، ص47.

¹⁶ . القفاري، المصدر السابق، ص178.

¹⁷ . المصدر السابق، ص 178-179.

¹⁸ . بماء الدين، المصدر السابق، ص88..

وحجب حقائقه عن قومهم -أي النصارى- لكي لا يتبعوا هذا الدين وليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية ان الإسلام دين لا يستحق الانتشار وان المسلمون قوم همج لصوص سفاكو دماء يحثهم دينهم على الملدات الجسدية ويعددهم عن كل سمو روحي وخلقي⁽¹⁹⁾.

وربما يضمن البعض منا بان هذا الموقف العدائي لرجال الكنيسة كان في العصور الوسطى وانه تغير في الوقت الحاضر لكنه في الحقيقة بان هذا الموقف العدائي تجاه الإسلام وقد اشدت أكثر في الوقت الحاضر من ذي قبل , بعد ان رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت اسس العقيدة عند الغربيين واخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف انظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة, وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الاولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في اوربا, بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره للمسلمين, واستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية⁽²⁰⁾.

وبعد ذلك التجا إلى طريق آخر, وهو تنصير المسلمين-اي بإدخالهم إلى النصرانية- او على الاقل جعلهم ملاحدة لا دين لهم, وفي سبيل ذلك, اتبعوا وسائل شتى, منها:

- أ- ابعاد المسلمين عن الإسلام وحملهم على كراهيته.
- ب- الادعاء بان القرآن الكريم كتاب تعارض وتناقض وتضارب.
- ج- التشكيك في السنة النبوية , وادعائهم بان القسم الاكبر من الاحاديث النبوية في اختلاق العلماء المسلمين⁽²¹⁾.
- د- تشويه التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية .
- هـ- الزعم بأن الشريعة الإسلامية جامدة ولا تتلاءم مع العصر الحاضر⁽²²⁾.

ب- الدافع الاستعماري :

¹⁹ . الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم, مصطفى السباعي , المكتبة الإسلامية, (د.م, 1985), ص16, الميداني, المصدر السابق, ص125.

²⁰ . السباعي, المصدر السابق, الميداني, الميداني, المصدر السابق, ص126.

²¹ . لقد شكك المستشرقون في السنة النبوية وزعموا ان القسم الاكبر من الاحاديث النبوية انما هي من اختلاق العلماء والحكام -لاسيما في العهد الاموي-, وذهبوا الى القول بان الخلافات قد اشدت بين العلماء المسلمين والخلفاء الامويين, فاخذ الطرفان يعملان على وضع احاديث ينسبوها الى الرسول (ص) . وزعم المستشرقون بان الامام(شهاب الزهري), مدون حديث قام بوضع احاديث في عهد (عبدالمملك بن مروان) ايام الفتنة بين الاخير وابن الزبير, لكن المتبع لسيرة الزهري يتأكد بأن هذا بجهتان وافترأ عليه , للمزيد من الاطلاع ينظر: السباعي, المصدر السابق.

²² . الميداني, المصدر السابق, ص 126-127.

بعد هزيمة الصليبيين في الحروب الصليبية , والتي هي في الحقيقة حروب استعمارية توسعية طغت عليها الطابع الديني, نراهم يحاولون مرة أخرى بالسيطرة على البلاد الشرقية عامة والبلاد الإسلامية خاصة , ووجدوا ان احسن وسيلة للسيطرة عليها هي الاستفادة من الاستشراق, ليسهل عليهم عملية السيطرة على تلك البلاد , وذلك بدراسة هذه البلاد التي تنوي الدولة الاستعمارية بالسيطرة عليها , وتقدم المعلومات عن طبيعة هذه البلاد وثرواتها وقومياتها وما يتعلق بجغرافياتها , للتعرف على مواطن القوة والضعف فيها⁽²³⁾ .

وتعبير ادق فانهم يغزون هذه البلاد قبل الجيوش ومن جانب آخر فهناك من يرى من الباحثين والمفكرين بأن هؤلاء المستشرقين هم ((طلائع تجوس الديار , وتستكشف الاثار, وتكتب التقارير... وكان لا بد لهذا (الجناسوس) ان يلبس ثوب العالم بلغة البلاد, وان يصنع البحث العلمي))⁽²⁴⁾

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل ان هؤلاء المستشرقين جميعهم مرتبطين بالدوائر الاستعمارية او انهم موظفون رسميون فيها؟.

قبل الاجابة على هذا السؤال, اريد ان اقول بانني لست من الذين يدعون بأن المستشرقين جميعهم يخدمون الدوائر الاستعمارية , فلقد ظهر من بينهم المنصفين , الذين ابتعدوا عن التعصب . وبعبارة أخرى فان اكثرية هؤلاء المستشرقين- وليس جميعهم - خدموا الاستعمار .

نعود لنجيب على سؤالنا بأن كثيرا من المستشرقين خدموا الدوائر الاستعمارية , بل تقلد منهم اعلى المناصب في هذه الدوائر , امثال (Louis Massignon لويس ماسينيوس) الذي كان مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون افريقيا⁽²⁵⁾

فضلاً عن (Goldizher جولدزهر) الذي قدم معلوماته للألمان⁽²⁶⁾ . و (Margoliouth مارجليوث) والذي قدم بدوره معلومات إلى البريطانيين⁽²⁷⁾ .

²³ . السباعي, المصدر السابق, ص 17, الميداني , المصدر السابق, ص 127.

²⁴ . ملامح عن الاكرد, جمال الدين , (مقال منشور في مجلة الاديب الكردي), تصدر عن اتحاد الادباء والكتاب الكردي, عدد(2) , (بغداد, 1986), ص 91.

²⁵ . فروخ المصدر السابق, , السباعي , المصدر السابق, ص35.

²⁶ . جولدزهر Goldizher , مستشرق مجري اشتهر بعدائه للإسلام ويتضح ذلك من خلال مؤلفاته عن القران والحديث , من كتبه(تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي) وقد كان من احد محرري (دائرة المعارف الإسلامية), فروخ, المصدر السابق, ص32.

²⁷ . مارجليوث Margoliouth , مستشرق بريطاني , اشتهر ايضا بعبادة للإسلام , وهو من محرري ((دائرة المعارف الإسلامية)). وكان عضوا بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي بدمشق, من كتبه (التطورات المبكرة في الإسلام). المصدر السابق, ص37.

ج- الدافع السياسي :

باختصار شديد فان هذا الدافع ظهر جليا بعد استقلال الدول الشرقية بشكل عام والدول الإسلامية بشكل خاص، وذلك بتعيين الدول الاستعمارية سفراء وقناصل في هذه الدول المستقلة الحديثة - وإلى الوقت الحاضر- والذين بدورهم يقومون بالاتصال برجال السياسة والفكر في هذه الدول، بغية الحصول على اتجاهاتهم، ولهم الدور الأكبر في إثارة الفتن والدسائس بين هذه الدول الشرقية والإسلامية، ودول أخرى⁽²⁸⁾.

د- الدافع الاقتصادي:

بعد قيام الثورة الصناعية، والتي ظهرت في اول الامر بإنكلترا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ومن ثم انتشارها في اوربا، وما نتج عنها من ظهور طبقة رأسمالية والتي بدورها اخذت تبحث عن اسواق لتصريف منتوجاتها الفائضة، والحصول على الموارد الاولية من خارج اوربا واستثمار اموالها، فبادرت الدول الاستعمارية لأرسال المستشرقين إلى الشرق، لمعرفة جغرافيتها الطبيعية والبشرية ومواردها الاقتصادية⁽²⁹⁾.

هـ- الدافع العلمي :

وهو الجانب الايجابي في الاستشراق، فلقد وجد مستشرقون رغبوا في الاطلاع على الشرق وحضاراته واديانه ولغاته، ملتزمين بمنهج البحث العلمي، ومتحررين من التعصب والهوى الجامح، لابل وقف هؤلاء المنصفين ضد زملائهم الذين كتبوا بتعصب ودون السير على المنهج العلمي، وحاولوا تغيير الصورة المشوهة عن الإسلام ورسوله التي تولدت في اوربا، فيقول المستشرق البريطاني (Montgomery مونتغمري وات) : ((جد الباحثون منذ القرن الثامن عشر على تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في اوربا عن الإسلام، وعلى رغم الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل، فان اثار هذا الموقف الجافي للحقيقة التي احدثتها كتابات القرون المتوسطة في اوربا لا تزال قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها))⁽³⁰⁾.

ومع ان بحوث هذه الفئة من المستشرقين كانت علمية ومنصفة، فلقد واجهتهم مشاكل صعبة حالت بينهم وبين الاستمرار في عملهم العلمي، ومن ابرز هذه المشاكل التي واجهتهم انما لن تلق الدعم المالي والمعنوي من (رجال الدين والسياسة والباحثين الغربيين)، لان - اي المستشرقين المنصفين- هي في غير صالح الفئات الثلاثة التي ذكرناها انفا. والاسوأ من ذلك فان هؤلاء المستشرقين المنصفين كثيرا ما يتعرضون للمضايقات وتوجيه التهم اليهم، ولاسيما من

²⁸ . السباعي ، الاستشراق، ص 192، الميداني، اجنحة المكر، ص 129.

²⁹ . حسين، موقف المشاركة، (بحث في مجلة الاستشراق)، العدد(1)، ص 48.

³⁰ . زقروق، المصدر السابق، ص 87-88.

المستشرقين والباحثين المغرضين ووصف بحوثهم بانها بعيدة عن النهج العلمي⁽³¹⁾, لان هذه البحوث انصفت للإسلام والمسلمين.

ومن الامثلة الحية على ما ذكا سابقا المستشرق ((توماس ارنولد) Thomas Arnold) والذي تعرض للكثير من الانتقادات من الباحثين والمغرضين, لأنه انصف الإسلام والمسلمين في كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام), ففي هذا الكتاب بين (توماس ارنولد) على تسامح المسلمين - على مر العصور - مع الاديان والقوميات التي كانت تحت رعايتهم. الا ان هذا الكتاب القيم لا يخدم اغراض الباحثين ورجال الدين والسياسة الغربيين, من اجل ذلك فقد وجه المستشرقون المغرضون التهم إلى صاحب هذا الكتاب, زاعمين بان صاحبه يتعاطف مع المسلمين وهذا مخالف للمنهج العلمي - حسب زعمهم⁽³²⁾.

ولم يقتصر توجيه مثل هذه التهم إلى المفكرين والمستشرقين المنصفين فقط, بل إلى الادباء ايضا و ومنه - على سبيل المثال لا الحصر - الاديب الروسي الكبير المعروف (تولستوي) Tolstoy⁽³³⁾. فقد اطلع الاخير على الإسلام وتعجب من الحملات الموجهة ضده من الساسة ورجال الدين والمستشرقين, واعلن عن اعجابه بالإسلام وبرسوله الكريم⁽²⁾, مما حمل البابا على حرمان (تولستوي) من رحمة الله⁽³⁴⁾.

ان هذا الدافع العلمي النزيه ادى بالكثير من هؤلاء المستشرقين المنصفين إلى اعتناق الإسلام, ومنهم المفكر الفرنسي الكاثوليكي (René Gino رينيه جينو) والذي تسمى باسم (الشيخ عبدالواحد يحيى)⁽³⁵⁾, والمستشرق الفرنسي (Deneh دينيه)⁽³⁶⁾, الذي عاش في الجزائر واعلن اسلامه وتسمى باسم (ناصر الدين دينيه), والف كتب

³¹ . المصدر السابق.

³² . الميداني, اجنحة المكر, ص13,

³³ . قال تولستوي في حق الرسول (ص): ((لا رب بان هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جلييلة, ويكفيه فخرا انه هدى امة برمتها الى نور الحق, وجعلها تمنح للسلام, وتكف عن سفك الدماء وتقدم الضحايا... ويكفيه فخرا انه فتح طريق الرقي والتقدم, وهذا عمل عظيم لا يفوز به الا رجل اوتى قوة وحكمة وعلما, ورجل مثله جدير بالاحترام والاجلال)). وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة, نقض مزاعم المستشرقين, حسن ضياء الدين عتر, دار الفنون للطباعة, (جده, د.ت), ص53.

³⁴ . عتر, المصدر السابق, ص54.

³⁵ . المصدر نفسه, ص56.

³⁶ . دينيه, مستشرق فرنسي تعلم في فرنسا وقصد الجزائر, واعلن اسلامه عام 1927 وحج الى بيت الله الحرام عام 1928, ومن اثاره: محمد(ص), المشاركة مع احد الجزائريين, واشعة من نور الإسلام, والشرق في نظر الغرب, والحج الى بيت الله الحرام, المستشرقون, نجيب العقيقي, دار المعارف, القاهرة, (1964), ص235.

عديدة دافع فيها عن الرسول والإسلام, فضلاً عن مستشرقين آخرين دفعهم الدافع العلمي النزيه والبحث عن الحقيقة, دفعهم إلى اعتناق الإسلام, واحص بالذكر منهم المستشرق ((عبدالكريم جرمانوس))⁽³⁷⁾, وغيرهم من المستشرقين.

المبحث الثاني

المستشرقون والسيرة

لقد حظيت سيرة الرسول محمد(ص) باهتمام بالغ, وظهرت مؤلفات وكتب عديدة وبلغات شتى عاجلت موضوع سيرة الرسول, وفي مطلع هذا القرن قامت مجلة ((المقتبس)) الدمشقية بنشر احصاء لما صنف في السيرة النبوية بمختلف اللغات الأوروبية والذي يبلغ ما يقارب (1300) كتاب, أمّا مادحاً, وأمّا قادحاً⁽³⁸⁾.

ونذكر أسماء بعض المستشرقين-على سبيل المثال - وكتبهم التي تتناول السيرة النبوية, ومنهم:

1. الانكليزي (مونتغري وات (Montgri Wat) في كتابه (محمد في مكة).
2. (وليم مولير (William Muller) مستشرق انكليزي ايضاً, وله كتاب (حياة النبي).
3. (يوليوس فلهاوزن (Julius Flahausen) الالماني في كتابه الموسوم (محمد في المدينة).
4. (سيرنجر (Serenger) النمساوي, وكتابه (سيرة محمد).
5. (ليون كايثاني (Leon Kaitani) المستشرق الايطالي, له كتاب (تاريخ الإسلام) في تسع مجلدات من النبوة إلى سنة 40هـ.
6. المستشرق الفرنسي (اتيين دينيه. (Athene Deneh) (وله كتاب (محمد رسول الله).

³⁷ . عبدالكريم جرمانوس: مستشرق مجري, ولد في بودابست, وتعلم اللغتين العربية والتركية, ودرس في جامعتي استانبول وفيينا, ودرس في المتحف البريطاني, وبعد ذلك رجع الى بودابست فعين استاذاً للغات العربية والتركية, والفارسية, وتدرج في المناصب العلمية, وذهب الى الهند حيث اعلن اسلامه هناك, من اثره: الادب العثماني, قواعد اللغة العربية, الادب التركي الحديث, التيارات الحديثة في الإسلام. العقيقي, المصدر السابق, ج3, ص 910-912.

³⁸ . السيرة النبوية, واوهام المستشرقين, عبدالمتعال محمد الجبري, مكتبة وهبة, (القاهرة, 1988) ص42.

وغيرهم من المستشرقين لا يسع لنا المجال لذكرهم⁽³⁹⁾.

لقد شوه الأوربيين - بالأخص - صورة الرسول، وحاولوا الحط من قدره وقيمته و خاصة بعدما تكونت الصورة المشوهة للإسلام بشكل عام وللرسول(ص) - بشكل خاص - بعد فترة الحروب الصليبية واثناها والتي حقق فيها المسلمون عدة انتصارات، لذلك توجه كبار رجال الدين المسيحيين، والذي خشوا على مصالحهم من ان تزول، للتهجم على الرسول والاقبال من شأنه ونعته-اي الرسول- بأبشع النعوت والصفات، وبمعنى آخر فان هجومهم على الرسول اما كان عن جهل او تعصب. وقد اعترف احد رجال الكنيسة وهو جيبييرت بذلك إذ أكد: بأنه لم تكن لديه اي فكرة عن العصر الذي عاش فيه الرسول، ولكنه اضطر إلى مهاجمته لاعتباره احد رجال الكنيسة⁽⁴⁰⁾. وذهب المفكر الانكليزي (Bernard Shaw برناردشو) إلى القول: ((لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطابع اسود حالك اما جهلا او تعصبا وانهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه فعندهم ان محمدا كان عدوا للمسيح. ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب وفي رأي انه بعيد جدا من ان يكون عدوا للمسيح وانما ينبغي ان يدعى منقذ البشرية))⁽⁴¹⁾.

هناك سؤال يطرح نفسه، هل تخلى الاستشراق والمستشرقون عن افكارهم القديمة تجاه الرسول بشكل خاص، والإسلام بشكل عام؟.

لقد بقي نظرة المستشرقين إلى الرسول كما هي، وان خفت حدة هجومهم على الرسول بعض الشيء، صحيح بانهم يثنون على الرسول والإسلام في محاضراتهم وكتبهم، ولكن كل هذا هو لإيهام وخداع المسلمين بانهم -اي المستشرقين- يتبعون طريقة علمية في منهجهم. ولكنهم من جهة أخرى يتهجمون على الرسول بصورة غير مباشرة، بأساليب خفية⁽⁴²⁾.

المهم في الامر ان المستشرقين في العصر الحديث، راو ابعدهم اسلوب الرهبان ورجال الدين في العصور الوسطى وفي فترة الحروب الصليبية للتهجم على الرسول، فسلخوا طريقا آخر للوصول إلى غايتهم ومآربهم، ويؤكد احد المعاصرين بانهم-اي المستشرقين- ((يبدلون اسلوب الكتابة عن الإسلام فقدموا من خلالها كلاما معسولا ممزوجا بمقدار معين من

³⁹ المصدر السابق، ص 42-47؛ ينظر: حياة محمد، اميل درمنغم، نقله للعربية، عادل زعيتر، دار العالم العربي، (دي، 2013).

⁴⁰ . الاستشراق والدراسات الإسلامية، عبد القهار داؤد العاني، مطبعة العاني، (بغداد، 1973)، ص 66، 27؛

ينظر: النبوة والانبياء في ضوء القرآن، ابي الحسن ابي الحسين الندوي، دار القلم، (دمشق، 1984)

⁴¹ . العاني، المصدر السابق، ص 6.

⁴² . المصدر نفسه، ص 8.

السم كي لا ينكشف امرهم وهم يحققون في الوقت نفسه هدفهم في النيل من الإسلام, وبالتشكيك في مصداقيته واثارة الشبهات المختلفة حول كل جانب من جوانبه⁽⁴³⁾.

والشيء الذي يبعث في النفس الحزن هو ادعاء هؤلاء المستشرقين المحدثين, عند دراساتهم الإسلامية, باتباع المنهجية العلمية والسير على منهج البحث العلمي, وألأنك من ذلك ان بعضا من الاساتذة الباحثين المسلمين تأثروا بكتابات هؤلاء المستشرقين, وصاروا يرددون ما يردده المستشرقون.

لقد تعرض الرسول (ص) لتشويه صورته واطهارها في غير حقيقتها, فزعموا انه مصاب بالصرع, وانه كان قسا رومانيا غضب لأنه لم ينتخب لكرسي البابوية فذهب يدعو الناس إلى دين زعمه⁽⁴⁴⁾. وان الرسول كان مشركا قبل الإسلام وانه تعلم التوحيد من اهل الكتاب⁽⁴⁵⁾. بل ذهب البعض منهم إلى التشكيك في اسم الرسول, وهذا ما ذهب اليه سيرنجر, الذي يشير إلى ان اسم الرسول ورد في اربع سور من القران هي: آل عمران والاحزاب و محمد والفتح. وهذه السور الاربعة مدنية, فيرى سيرنجر بان لفظة (محمد) لم تكن اسم علم للرسول قبل الهجرة, وانما اتخذها الرسول لتأثره بقراءته للإنجيل والاتصاله بالنصارى⁽⁴⁶⁾.

اتضح لنا بان اكرثية المستشرقين اتبعوا منهاجا مغايرا للبحث العلمي في دراستهم للسيرة النبوية, ولكن يا ترى ما هي الأسباب التي ادت إلى اختلاف منهج المستشرقين في السيرة النبوية؟.

يرى احد الباحثين بان هذه الأسباب تكمن في:

1. افتقاد سلامة القصد وحياد البحث :

فسلامة القصد وحياد البحث هو شرط اساسي من شروط البحث العلمي, فاذا فقد هذا الشرط ضاع جهد الباحث, وكنا قد اشرنا إلى دوافع المستشرقين في دراساتهم وبحوثهم, ولأجل هذه الدوافع والأغراض كانوا يهتمون بالدراسات والابحاث التي تخص الشرق على العموم, والعالم الإسلامي على الخصوص, وقد أكد أحد المستشرقين المنصفين ذلك, وهو الدكتور (Snook Hergonga سنوك هرغونجة) حينما قال: (ان سيرة محمد الحديثة تدل على ان البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم, اذا سخرت لأي نظرية او راي سابق).

⁴³ . بهاء الدين, المصدر السابق, ص68.

⁴⁴ . بهاء الدين, المصدر السابق, ص 90.

⁴⁵ . الجبري, المصدر السابق, ص 152.

⁴⁶ . دراسة في السيرة النبوية, عماد الدين خليل, مؤسسة الرسالة, (بيروت, 1982), ص131, ينظر, المستشرقون والسيرة النبوية, عماد الدين

خليل, بحث منشور في كتاب مناهج المستشرقين, ج1.

2. الخضوع لمؤثرات البيئة والظروف والنزوات الخاصة.

لقد كتب معظم المستشرقين سيرة الرسول حسب نظريته الخاصة والبيئة التي يعيش فيها، فالمستشرق الانكليزي يظهر صورة الرسول عليه السلام، حسب البيئة الانكليزية، كذلك الحال بالنسبة للمستشرق الالماني والفرنسي وغيرهم من الجنسيات الأخرى. فعلى سبيل المثال زعم احد المستشرقين الالمان ومن المتأثرين بالاشتراكية، وهو (Hubert Jeremy هوبرت جريمي) بان (الاشتراكية دفعت محمدا إلى وضع الدين الإسلامي...!!؟! واستدل على ذلك بفريضة الركاة)⁽⁴⁷⁾

3. شدة الضغط الصليبي والاستعماري:

وهذا يتضح في تشويه صورة الرسول محمد(ص)، امام انظار الغربيين، وكان لرجال الدين والساسة الدور الاكبر في ذلك⁽⁴⁸⁾

موقف المستشرقين من سيرة الرسول من صباه إلى البعثة

اولا: قصة بحيرا الراهب⁽⁴⁹⁾.

لقد زعم المستشرقون ومن قبلهم رجال الكنيسة في العصور الوسطى ان الإسلام مقتبس من المسيحية، وان الرسول محمد(ص) استمد هذه المعلومات واستقاها من مصادر مسيحية، وسواء اكان لزعمهم هذا غرض ام بدون غرض فانهم وقعوا في خطأ فاضح، لأنهم رأوا بوجود بعض العقائد المتشابهة بين الإسلام والنصرانية دليلاً بان الإسلام أو بالأحرى ان الرسول استمد هذه المعلومات من مصادر مسيحية على اعتبار أن المسيحية قد جاءت قبل الإسلام .

وستقتصر في هذا المبحث على قصة (بحيرا الراهب)، لان الكثير من المستشرقين يؤكدون على هذه القصة دون تحييصها ونقدها لمعرفة مدى صحتها.

تشير الروايات ان عم الرسول محمد(ص) ابو طالب خرج في تجارة إلى الشام مصطحبا معه ابن اخيه-اي الرسول محمد(ص)- وكان بما -اي في الشام- راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان اليه علم اهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب، اليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثون كابرا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام

⁴⁷ . خليل، المصدر السابق، ص 49.

⁴⁸ المصدر نفسه، ص 53.

⁴⁹ . لقد نقل العديد من المؤرخين المسلمين هذه القصة في كتبهم، ودون ان يعرضوا هذه القصة الى النقد، مع العلم بان الكثير من المستشرقين والمحدثين لم يذكروها ولم يذكروا اسم (بحيرة الراهب)، ثم لو افترضنا بان الرسول(ص). تعلم على يد هذا الراهب واخذ منه العقائد، فلماذا لم تشر الروايات التاريخية الى ما كان يسمعه الرسول(ص)، من بحيرة وما يتلقاه من الدروس، ولو حدث فعلا ان الرسول(ص) تعلم على يد هذا الراهب لأشارت هذه المصادر الى ذلك، مع انها ذكرت التفاصيل الدقيقة من حياة الرسول(ص)، سواء اكانت صحيحة او انها غير صحيحة.

ب بحيرا وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شيء راه وهو في صومعته يزعمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته، في الراكب حين اقبلوا، غمامة تظله من بين القوم... فنظر إلى الغمامة إذ اظلت الشجرة، وتحصرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته ثم أرسل إليهم، فقال: اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، فانا احب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم... فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله محمد(ص) من بين القوم، لحدائة سنه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنه، فقال: يا معشر قريش لا يتخلفن احد منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرا ما تخلف عنك احد ينبغي له ان يأتيك الا غلام... فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى اشياء من جسده، قد كان يجدها عندهن صفته، حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام اليه بحيرا، فقال له بحيرا: فبالله الا ما اخبرتي عما سألك عنه، فقال له سلمي، عما بدا لك : فجعل يسأله عن اشياء من حاله في نومه وهيئته واموره فجعل رسول الله يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده... فلما فرغ اقبل على عمه أبي طالب، فقال: ما هذا الغلام منك؟ قال: اني، قال بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فانه ابن احي، قال: فما فعل أبوه ؟ قال: مات وامه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن اخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود⁽⁵⁰⁾، فوالله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت لبيغينه شرا، فإنه كان لابن اخيك هذا شأن عظيم، فاسرع به إلى بلاده⁽⁵¹⁾.

قبل معرفة موقف المستشرقين من هذه القصة، وجدنا من الضروري نقد هذه الرواية، والتي نقلها الكثير من المؤرخين المسلمين دون التاكيد من صحتها⁽⁵²⁾، ومن هذه الانتقادات.

أ- ورد في النص ان الراهب الذي يدعى بحيرا قام بصنع طعام كثير للقافلة، والمعلوم ان الشغل الشاغل للراهب هو التعبد والاعتكاف في الصوامع، فكيف استطاع هذا الراهب ان يعد طعاما لقافلة بكاملها وفي فترة قصيرة.

⁵⁰ . نفس ما اشار اليه الطبري في روايته الاولى، بينما في الرواية الثانية للطبري نرى ان الراهب يحذر اباطالب من ذهابه مع ابن اخيه الى الروم مخافة ان يقتلوا ابن اخيه، تاريخ الرسل والملوك، ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر العربي، (القاهرة، 1979)، ج 1، ص 195.

⁵¹ . السيرة النبوية، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب المعافيري، دار الفكر، (بيروت، 1981)، ج 1، ص 181-182، تهذيب سيرة بن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافيري، تحقيق عبدالسلام هارون، المجمع العلمي الإسلامي، (بيروت، د.ت)، ص 47-48، الطبري، المصدر السابق.

⁵² . ابن هشام، المصدر السابق، ص 181-182، ابن هشام، تهذيب الطبري، المصدر السابق، ج 1، ص 194-195، التنبيه والاشراف، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مكتبة الهلال، (بيروت، 1981)، ص 197، البداية والنهاية، عماد الدين ابو الفداء ابن كثير، دار الفكر، (بيروت، 1978)، ج 1، ص 283-284.

ب- هل لهذا الراهب علم ومعرفة لما جرى لوالدي الرسول محمد(ص) في صغره؟ وهل لديه علم بالغيب لكي يحذر عم الرسول(ص) من اليهود خوفا على ابن اخيه؟ وهل لديه علم بالغيب بانه سيكون لهذا الصبي -اي الرسول محمد(ص)- شأن عظيم في المستقبل؟.

ج- لو تمعنا إلى هذه الروايات التي ذكرت في المصادر الإسلامية, لوجدنا فيها اختلافا ما بين مصدر وآخر, بل ان في الكتاب الواحد منها توجد عدة روايات وباختلاف واضح⁽⁵³⁾.

د- ثم ان مثل هذه الروايات موضوعة, نقلها المؤرخون المسلمون دون التأكد من صحتها, وكان هدفهم من ذلك هو اضافة دليل آخر على نبوة الرسول محمد(ص), ويشير أحد المؤرخين المعاصرين بان: (هذه الروايات كلها مردودة سندا ومتنا لما فيها من الضعف والنعكارة ولما فيها من فساد المتون وبطلانها من الناحية التاريخية وتعارضها مع قواعد العمران البشري والقوانين مما يثبت اثباتا قاطعا ان هذه الروايات موضوعة نقلها المؤرخون وبعض المحدثين الذين لا يتشددون في شروط الرواية ظنا منهم انهم بذلك يضيفون دليلا جديدا يسند نبوة رسولنا الأعظم عليه الصلاة والسلام ولم ينتبهوا الا ان أمثال هذه القصص فيها من الشر أكثر مما فيها من الخير, لأن أعداء الإسلام منذ القدم أرادوا ان يروجوا امثال هذه الروايات الواهنة كي يثبتوا وجود بحيرى وغيره من القسس في اطراف الجزيرة العربية الذين كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم -في زعمهم- يتصل بهم ويأخذ عنهم⁽⁵⁴⁾

وبالنسبة لوقف المستشرقين من قصة بحيرا الراهب, فانهم يزعمون بان الرسول(ص) تعلم على يد هذا الراهب, بل ذهب البعض منهم الا ان الرسول(ص) قابل ((بحيرا الراهب)) في رحلته الثانية إلى الشام, بعد خروجه - اي الرسول محمد(ص)- بتجارة خديجة بنت خويلد إلى الشام, فهذا المستشرق الفرنسي (Gustav Le Bon غوستاف لوبون)

⁵³ . فعلى سبيل المثال, يورد الطبري روايتين مختلفتين, ففي الرواية الاولى جاء على لسان بحيرا- والذي نه ابا طالب من خشية تعرف اليهود على الرسول مخافة ان يقتلوه, قال: (ارجع به الى بلدك واحذر عليه اليهود فوالله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت ليبتغيه شرا...), وفي الرواية الثانية نرى بحيرا يحذر من الروم, فيقول: (فبينما هو قائم عليهم-اي على قريش- وهو يناشدهم الا يذهبوا به- اي يقصد الرسول- الى الروم فان الروم ان راوه عرفوه بالصفة فقتلوه...), الطبري, المصدر السابق, ج 1, ص 195.

⁵⁴ . خليل, المصدر السابق, ص 272.

(55) يقول: (وتحميا له -أي الرسول محمد(ص)- بذلك السفر إلى سورية والاجتماع مرة ثانية بالراهب الذي اطلعه سابقا على علم التوراة)⁽⁵⁶⁾.

وقد تولى الشيخ الزرقاني بالرد على هذه الشبهات في كتابه (مناهل العرفان), نلخصها بالنقاط الآتية:

1. ان ادعاء المستشرقين بان الرسول (ص) تعلم على يد بحيرا الراهب هو ادعاء باطل, ولا يستند على اي دليل تاريخي, واذا حصل لقاء بين الرسول(ص) وبحيرا, فعلى المستشرقين ان يخبرونا ما الذي سمعه الرسول(ص) وتعلمه من بحيرا؟
2. المعلوم ان الرسول(ص) سافر إلى الشام مرتين, الاولى في طفولته وكان عمره حوالي تسع سنوات⁽⁵⁷⁾, والثانية في شبابه وكان يبلغ من العمر الخامسة والعشرين, وفي هاتين المرتين لم يكن بمفرده, بل كان معه شهود عيان, ففي المرة الاولى كان معه ابو طالب, وفي الثانية كان معه (ميسرة) غلام خديجة التي خرج رسول الله بتجارها إلى الشام, ولو تعلم الرسول محمد(ص) على يد بحيرا لعلم الشهود الذين كانوا معه في كلتا السفرتين.
3. امن المعقول ان يتعلم الرسول محمد(ص) -وهو في صباه لا يتجاوز التسع سنوات- هذا الكم الهائل من العبادات والعقائد والمعاملات من بحيرا؟ ثم انه في رحلته الثانية إلى الشام كان منشغلا بتجارة خديجة التي جعلته امينا على تجارتها, فرجع بتجارها وبربح وفير.
4. يعقل ان يبشر المعلم تلميذه بانه سيكون له شان عظيم في المستقبل ويشره بنبوته ويؤمن بها, ومن ثم ينصب نفسه استاذا لهذا النبي الذي سيتلقى الشرائع والعقائد من الله سبحانه وذلك عن طريق جبريل, فيصبح هذا النبي استاذ الاستاذين؟.
5. لو كان صحيحا ان بحيرا هو مصدر هذه العقائد والعبادات الإسلامية, لكان هو الاجدر بالنبوته, ولأعلن انه نبي من عند الله.

⁵⁵ . غوستاف لوبون, طبيب ومؤرخ فرنسي عني بالحضارة الشرقية. ومن اثاره: الحضارة المصرية, حضارة العرب وحضارة العرب في الاندلس. العقائدي, المصادر السابق, ج 1, ص 226.

⁵⁶ حضارة العرب, غوستاف لوبون, ترجمة عادل زعير, دار احياء الكتب العربية, (القاهرة, 1948), ص 130؛ لمزيد من التفاصيل ينظر: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون, ترجمة: محمد عبدالعظيم علي نقد وتحقيق وتصويب, عبد المتعال محمد الجبري, دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع, (الاسكندرية, 1994)؛ مصطفى الحاج مالك بوكاري, الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ عهد النبوة, (د.م, 1992).

⁵⁷ . بعض المصادر تشير الى ان عمره كان الثالثة عشر. ينظر المسعودي, المصادر السابق, ص 197.

6. ان الدين المسيحي الذي ينتمي اليه بحيرا مخالف للدين الإسلامي ولاسيما من الناحية العقائدية. وهناك آيات عدة في القرآن الكريم تؤكد على ان المسيحية قد كفرت⁽⁵⁸⁾, فهل يعقل ان يكون الإسلام مستمدا من المسيحية, او من اية اديان أخرى –سماوية كانت ام وضعية-؟

7. ثم ان هذا الادعاء ليس شيئا جديدا, فقد سبق وان ردهه المشركون في مكة, إذ زعموا ان الرسول(ص) له معلم يعلمه الإسلام وهو حداد رومي وقيم بمكة, فكيف لحداد ان يعلم الرسول وهو –اي الحداد- منهمك في عمله طوال النهار؟ وكيف لرومي ان يعلم الرسول محمد(ص) وهو لا يحسن العربية؟ د رد الله سبحانه وتعالى على قولهم هذا: (وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۖ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)⁽⁵⁹⁾. فهل يعقل ان يكون الرسول محمد(ص) قد تعلم القرآن الكريم –والذي شهد على اعجازه البلاغي العديد من المستشرقين المنصفين – من رجل نصراني لا يحسن العربية⁽⁶⁰⁾.

8. اما ما ذهب اليه المستشرق غوستاف لوبون, من ان الرسول محمد(ص) قابل بحيرا مرة ثانية عندما خرج بتجارة خديجة إلى الشام, فتكره الروايات التاريخية, لان بعضها منها تنكر بان الرسول محمد(ص) قد قابل بحيرا للمرة الثانية, بدليل ان الرسول محمد(ص) نزل ليستظل تحت شجرة قريبة من صومعة راهب من الرهبان, فراهب الراهب وسأل ميسرة-غلام خديجة- فقال: (من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة هذا رجل من قريش من اهل الحرم)⁽⁶¹⁾, فلو قابل الرسول محمد(ص) هذا الراهب –اي بحيرا- في الرحلة الاولى وتعلم على يديه التعاليم الدينية لتعرف عليه الرسول محمد(ص) في الرحلة الثانية, ولكن الراهب قد تعرف عليه ايضا في الرحلة الثانية ان كان هو الذي علم الرسول ولما انكر معرفته به, ثم هل كان بحيرا يهوديًا لكي يطلع الرسول محمد(ص) على التوراة؟

والخلاصة ان ادعاء المستشرقين بان الرسول محمد(ص) تعلم على يد بحيرا الراهب لا يستند على اي دليل, ولا يمت اي صلة بالحقائق التاريخية, وهدفهم من ذلك اظهار الإسلام في صورة مشوهة وانه مأخوذ من النصرانية واليهودية.

ثانيا: التشكيك في الوحي وقضية الصرع.

⁵⁸ . من هذه الآيات قوله تعالى: (قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ), المائدة, اية 72, وقوله جل وعلا (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ), المائدة, اية 73.

⁵⁹ . سورة النحل, اية 103.

⁶⁰ . علامات النبوة والمعجزات النبوية, عبدالمملك علي الكليب, دار الانبار,(بغداد, 1991), ص 41-44.

⁶¹ . ابن هشام, المصدر السابق, ج 1, ص 188.

جاء في (لسان العرب) الوحي بمعنى (الإشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي). وكل ما القيته على غيرك⁽⁶²⁾.

والمعلوم ان رسول الله محمد(ص)، لم يكن اول رسول او نبي اوحى الله فيه، فقد كان هناك انبياء ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم، مما يبين بان هذا الوحي لم يكن قد اصطنعه الرسول محمد(ص) من عند نفسه، فقد اشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۗ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ ۗ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)⁽⁶³⁾.

وقد اشار احد الباحثين بقوله: (ولم يكن الوحي الذي ايدهم -اي الانبياء- به الله مخالفا للوحي الذي ايد به محمدا، بل كانت ظاهرة الوحي متماثلة عند الجميع، لان مصدرها واحد، وغايتها واحدة)⁽⁶⁴⁾.

لم يكن الوحي شيئا جديدا ابتكره الرسول(ص) لكي يدعي الكفار بان هذا الوحي انما هو ضرب من الجنون والسحر، واثار الله تعالى إلى ذلك بقوله: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ)⁽⁶⁵⁾.

اما كيفية نزول الوحي على الرسول محمد(ص)، فيتضح ذلك من قوله: (احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي، فينصم عني -اي ينكشف عني- وقد وعيت ما قال، وحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول). فالوحي -حسب ما جاء في الحديث- يكون على صورتين:

اولهما: عن طريق القاء القول على قلب الرسول محمد(ص)، ويسمع الرسول محمد(ص) صوتا اشبه بصوت صلصلة الجرس. وهذه الصورة اشد على الرسول محمد(ص)، فقد قال الله تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)⁽⁶⁶⁾. وأشارت السيدة عائشة بقولها(ولقد رايتته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصمعه وان جبينه ليتفصد عرقاً)⁽⁶⁷⁾.

ثانيهما : ويكون عن طريق تمثّل جبريل له على هيئة بشر، وهو اخف وطأة من الصورة الاولى.

⁶² لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1996)، ج3، ص892.

⁶³ . سورة النساء، اية 163-164.

⁶⁴ . مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، (بيروت، 1977)، ص 22.

⁶⁵ . سورة يونس، اية 2.

⁶⁶ . سورة المزمل، اية 5.

⁶⁷ . الصالح، المصدر السابق، ص 27-28.

المهم في الامر انه في كلتا صورتين يحرص النبي صلوات الله عليه على وعي ما اوحى اليه, اذ قال في الاولى: (يفضم عني وقد وعيت ما قال), وفي الثانية (فيكلمني فأعني ما يقول), فاثبت لنفسه الوعي الكامل لحالته قبل الوحي وحالته بعد الوحي, وحالته اثناء الوحي, سواء احفت ام اشتد وطأة النازل القرآني عليه⁽⁶⁸⁾.

لقد ذهب المستشرقون إلى القول بان الرسول(ص) كان مريضا بالصرع, وكان مجنوناً ومهوساً مثلما ذهب اليه المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون⁽⁶⁹⁾, وهذا ما ردهه المشركون من قبل إذ قالوا في حق الرسول(ص): (وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ)⁽⁷⁰⁾, فرد الله عليهم بقوله: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)⁽⁷¹⁾, وأشار الله سبحانه وتعالى بانه سيبتين من هو المجنون, الرسول ام المشركين؟ فقال: (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ)⁽⁷²⁾.

ومن المستشرقين الذين أكدوا على هذه القضية -اي قضية الصرع-, المستشرق النمساوي سيرنجر, بل حدا به بان يصف الرسول بانه كان انسانا هستيريا⁽⁷³⁾, وقد ارجع احد المستشرقين الالمان هذه الافتراءات المزعومة إلى قلة المعلومات الصحيحة عن سيرة الرسول(ص), واغلب هذه المعلومات تم نقلها من المصادر البيزنطية, والتي هي مصادر غير موثوقة وباعتراف بعض المستشرقين انفسهم⁽⁷⁴⁾, وذهب لوبون الا بعد من ذلك حينما قال: (ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكثر مؤسسي الديانات)⁽⁷⁵⁾.

وقد رد بعض الباحثين على مثل هذه الافتراءات مستنديين على ادلة علمية, فقد نقل احد الباحثين عن محمد حسنين هيكل هذه الردود, والتي رد فيها هيكل على احد المصريين المتأثرين بالمستشرق, حينما اشار -هيكل- بان هذا المصري زعم بأن, الرسول محمد(ص) كان مصابا بالصرع وكانت تعثره التشنجات وتخرج من فمه الرغوة واذا افاق الرسول تلا ذلك على المسلمين مدعيا -اي الرسول(ص)- بانه وحي الله اليه, وكل ما في الامر انه اثر من اثار الصرع ليس الا⁽⁷⁶⁾.

68 . المصدر نفسه, ص28.

69 . اراء المستشرق ريجيس بلاشير في الوحي المكّي والمدني, ابراهيم عبد الكريم عبدالله, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية, (الرياض, 1404هـ), ص 62-64؛ لوبون, المصدر السابق, ص144؛ ينظر اثر الاستشراق في الحملة على رسول الله, علي بن ابراهيم النملة, بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية, العدد(47).

70 . سورة الدخان, اية14.

71 . سورة القلم, اية 1-2.

72 . سورة القلم, اية 5-6.

73 . سيرة الرسول في تصورات الغربيين, جوستاف بفانولر, ترجمة محمود حمدي, مكتبة ابن تيمية, (الخرق, 1986), ص20.

74 . بفانولر, المصدر السابق, ص45.

75 . المصدر نفسه, ص 45.

76 . الجبيري, المصدر السابق, ص73.

فرد ((هيكل)) على ذلك المصري بقوله ان: (تصوير ما كان يبدوا على محمد في ساعات الوحي على هذه النحو خاطئ من الناحية العلمية، فنوبة الصرع لا تندر عند من تصيبه اي ذكر لما مر به اثناءها، بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد افاقته من نوبته نسيانا تاما، ولا يذكر شيئا مما صنع او حل به خلالها، ذلك لان حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل. هذه اعراض الصرع كما يثبتها العلم، ولم يكن ذلك ما يصيب النبي العرابي اثناء الوحي بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الاثناء تنبها لا عهد للناس به، وكان يذكر بدقة غاية الدقة ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك بعد ذلك على اصحابه)⁽⁷⁷⁾.

وقد نقل احد الباحثين اقوال بعض الاطباء الاختصاصيين بالأمراض العصبية، ومنهم الدكتور عبدالعزيز الشريف- اخصائي واستاذ الامراض الباطنية وعضو كلية الاطباء ب أذنيه الذي قال: ((المرض علة تصيب اي عضو من اعضاء الجسم، فتسبب خللا فيصبح الانسان لذلك معتلا والشخص المريض هو الذي تغيرت حالته بسبب المرض فاصبح غير عادي، اذ يقل في قوته وصحته... وبالتالي في انتاجه وتفكيره. ولم يعرف الطب ولم يحدثنا التاريخ العلمي، ان شخصا اصيب بمرض فوهبه المرض علما او عقلا او مقدرة اذ ان العقل السليم في الجسم السليم))⁽⁷⁸⁾، ويتساءل هذا الدكتور في سياق كلامه عن هذه الحالة المرضية: (كيف يقولون عن الرسول انه اصيب بالصرع، فتتحسن لغته تحسنا إذ لا يمكن ان نقارن بين حديثه العادي وبين القران الكريم الذي يقولون انه حديثه وهو في نوبة الصرع؟ وكيف يشرع مريض هذه التشريعات التي تعتبر الاسس القويمة لكل القوانين التي تهدف إلى العدالة والرحمة والتقدم؟... وكيف يكون ما عند الرسول نوبات صرع، وهذه النوبات تسبب للمريض الأما شديدة في عضلاته تكون مصحوبة بالصداع والغثيان وتبقى مدة بعد النوبة هي عبارة عن تشنج وتصلب في العضلات، فهل اذا غابت عنه حزن ووجل؟ فقد فتر الوحي عن النبي فترة فتولاه الخوف والوجل والحزن...)⁽⁷⁹⁾.

وهناك من الغربيين من دفعهم حبههم للاطلاع والبحث عن الحقيقة إلى ان يردوا على مثل هذه المزاعم، فهذا احد الغربيين يدعى (Paul Azar بول ازار) بقوله: (اشار هؤلاء العلماء إلى ان ذلك القسم الكبير من الجنس البشري ما كان ليتبع خطى محمد لو انه لم يكن أكثر من حالم مصاب بالصرع، وما كان لدين بتلك الدرجة من الفجاجة والسذاجة، كما كان يشاع عنه، ان ييدي تلك الدرجة الحيوية ويجرز مثل ذلك التقدم ولو ان الناس بدلا من ان يشيعوا اكذب القصص وابعدها عن الحقيقة ذهبوا إلى انفسهم من اجل معرفة الحقيقة لوجدوا ان محمدا واتباعه كانوا يتمتعون بصفات في القلب والعقل تجعلهم لا يقولون... عن اعظم الابطال عند اي من اجناس العالم الأخرى...)⁽⁸⁰⁾.

⁷⁷ . الجري. المصدر نفسه، ص 73-74.

⁷⁸ . المستشرقون والإسلام، هاشم زكريا، (القاهرة، 1965)، ص 315.

⁷⁹ . زكريا، المصدر السابق، ص 315.

⁸⁰ . صورة الإسلام، محمد عصفور، (مقال منشور في مجلة عالم الفكر)، العدد 4، ص 153-154.

وذهب المستشرق (Podley R.F ر. ف. بودلي) في كتابه (حياة محمد) إلى القول: (يذكر الاطباء ان المصاب بالصرع, لا يفيق منه, وقد دخر عقله بأفكار لامعه وانه لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي يتمتع بها(محمد), حتى قبل مماته بأسبوع واحد. و ما كان الصرع ليحجل من احد نبيا او مشرعا , وما رفع الصرع احدا إلى مراكز التقدير والسلطان يوما. وكان من نتابه مثل هذه الحالات في الازمنة الغابرة يعدّ مجنوناً او به مس من الجن . ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو (محمد) ولا شك. وينفى عن الرسول تلك الفرية)⁽⁸¹⁾.

ولإخلاصه ان هدف المستشرقين من هذا الافتراء على الرسول محمد(ص) نفي الوحي المنزل على الرسول محمد(ص), وكأن الوحي مقتصر على الديانة المسيحية واليهودية فقط, والغريب ان بعضا من هؤلاء المستشرقين لا يؤمنون بالنبوات, فهذا المستشرق الفرنسي (غوستاف لوبون) يقول: (فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس وانما اولوا الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور, فمتى يبحث في عمل المفتونين في العالم يعترف بانه عظيم, فهم الذين اقاموا الاديان وهدموا الدول واثاروا الجموع وقادوا البشر, ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر...)⁽⁸²⁾. فيتهم جميع الانبياء بأنهم مهوسين, وبمعنى آخر فانه - اي لوبون- ينكر النبوات بكلامه هذا.

والحقيقة بان المستشرقين لم يعرفوا المعنى الحقيقي للوحي, وكيف وان منهم من يصف اصحاب الديانات بأنهم مهوسين ولا عقل لهم. وقد استشهد احد الباحثين بكلام (هيكل) حينما قال: ((اما الوحي فسموا روحي اختص الهى به انبياءه ليلقي اليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كي يبلغوها للناس, وقد يصل العلم إلى ادراك بعض هذه الحقائق ومعرفة سنتها واسرارها بعد اجيال وقرون, وقد يظل بعضها لا يتناوله العلم حتى يرث الله الارض ومن عليها, وهي مع ذلك حقائق يقينية تهتدي قلوب المؤمنين الصادقين إلى حقيقتها, على حين تظل قلوب عليها اقفالها جاهلة اياها لغفلتها عنها))⁽⁸³⁾.

⁸¹ . زكريا, المصدر السابق, ص 316.

⁸² . لوبون. المصدر السابق, ص 145.

⁸³ . الحبري, المصدر السابق, ص 74.

موقف المستشرقين من القضايا الشخصية للرسول(ص)

اولا: زواج الرسول بخديجة:

ولدت خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بمكة سنة 556م, وتنتسب إلى اسرة ذات شرف, وقد تزوجت من رجل من قبيلة تميم يدعى ابو هالة بن زرة فمات عنها. وكانت من عادتها ان تستأجر الرجال لينوبوا عنها في الخروج بالتجارة إلى الشام. ولما علمت بصدق الرسول محمد(ص) وامانته جعلته يشرف على تجارتها التي خرجت إلى الشام. واصطحب مع الرسول محمد(ص) في هذه الرحلة غلام خديجة يدعى (ميسرة). وبعد رجوع القافلة من الشام وبريح وافر, ازداد اعجاب خديجة بأخلاق الرسول محمد(ص). فبعثت بإحدى النساء إلى الرسول محمد(ص) لكي تشاوره في مسألة الزواج بخديجة, فوافق الرسول محمد(ص), وذكر ذلك لأعمامه لأجل خطبتها, فتزوجها الرسول محمد(ص). ولما بعث رسول الله محمد(ص) كانت اول من اسلم من الرجال والنساء. وقد انجبت للرسول محمد(ص) القاسم وعبدالله ومن البنات زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة⁽⁸⁴⁾.

لقد كانت خديجة(رض)وفية للرسول محمد(ص) وفاء لا حدود له, فقد ازرته في محنته ووقفت معه بعد ان كذبه قومه, وكثيرا ما كان الرسول محمد(ص) يرجع اليها بعد ان يلاقي من قومه الاذى, فتواسيه خديجة وتخفف عليه وتهون عليه امر الناس⁽⁸⁵⁾.

وقد اتهم بعض المستشرقين بان هدف الرسول محمد(ص) من زواجه بخديجة لهوى وغرض مادي ويدللون على ذلك ان الرسول محمد(ص) انصرف بعد زواجه من خديجة إلى التجارة وانه (اي الرسول) محمد(ص) - كان كثيرا ما يستخدم في كلامه الاستعارات والصور التجارية⁽⁸⁶⁾.

وللرد على مثل هذه المزاعم نرجع للمصادر الإسلامية لمعرفة مدى صحة مزاعم المستشرقين, ونرجع إلى بعض المستشرقين المنصفين والغربيين الذين دفعوا مثل هذه الشبهة عن الرسول محمد(ص).

1. لو كان صحيحا ما يقال بان الرسول محمد(ص) تزوج خديجة لاجل مالها, لكان هو البادئ بان يطلب يدها, لا ان تبعث خديجة إحدى النساء لكي تستشيريه في امر الزواج من خديجة, او ان تعرض نفسها عليه لكي يقبلها

⁸⁴ . الاعلام, خير الدين الزركلي, دار العلم للملايين,(بيروت, 1980) ج 2, ص 302.

⁸⁵ . ابن هشام, المصدر السابق, ص 240, ابن هشام, تهذيب, ص 61.

⁸⁶ . تاريخ الشعوب الإسلامية كارل بروكلمان, دار العلم للملايين,(بيروت, 1979), ص 33.

زوجا له, فقد جاءت في الروايات انها- اي خديجة- قالت للرسول محمد(ص): (يا بن عم اني قد رغبت فيك لقربانتك, وسطنتك في قومك وحسن خلقك, وصدق حديثك, ثم عرضت عليه نفسها)⁽⁸⁷⁾. ويشير احد الباحثين إلى ان سبب رغبة خديجة بالزواج من الرسول محمد(ص) رغم انها كانت اشرف واغنى نساء قريش هو (علو منزلته - اي الرسول محمد(ص)- وجلال قدره وطيب سمعته. فمع ما له من شرف الحسب والنسب غير انه كان فقيرا لا يملك من حطام الدنيا شيئا. فلا يمكن لمن هذه حاله ان يستقطب اهتمام الناس ويكسب احترامهم وتقديرهم الا بالخلق الحسن والمعاملة الطيبة والمودة للناس. لقد بلغ رسول الله محمد(ص) المنزلة الاجتماعية المرموقة التي جعلت امرأة من اشرف واغنى نساء قريش تعرض الزواج عليه صلى الله عليه وسلم)⁽⁸⁸⁾.

2. ثم ان زواج الرسول من خديجة ما كان الا لوجود مودة بينهما, وهذا ما تشير اليه الروايات التاريخية عندما ذهب اعمام الرسول(ص) لخطبة خديجة من احد اعمامها, فقالوا -اي اعمام الرسول محمد(ص)- (وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة)⁽⁸⁹⁾.

3. ومما يدل على مكانة ومنزلة خديجة عند الرسول محمد(ص), هو عدم تفكيره في الزواج بغيرها سواء في حياها او بعد مماتها, إلى ان عرضت على الرسول محمد(ص) سيدة مسلمة وطلبت من الرسول محمد(ص) بان يخطب السيدة عائشة.⁽⁹⁰⁾

4. لقد بقيت ذكرى الزوجة الوفية خالدة في ذاكرة الرسول محمد(ص) حتى بعد وفاتها, فكثير ما كان يمدح خديجة(رض) ويثني عليها امام زوجاته, فهذه السيدة عائشة تقول: (ما غرت على احد من نساء النبي محمد(ص) ما غرت على خديجة- وما رايتها- ولكن يكثر يذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها اعضاء ثم يعيها في صدائق خديجة)⁽⁹¹⁾. وتقول ايضا (كان النبي محمد(ص) اذا ذكر خديجة اثنى عليها بأحسن الثناء... فغرت يوما فقلت ما اكثر ما يذكرها حمراء الشدين قد ابدلك الله خيرا منها. قال ما ابدلني الله خيرا منها, وقد امننت بي اذ كفر بي الناس, وصدقني اذ كذبتني, واستنتي بما لها اذ حرمني الناس, ورزقني الله ولدها اذ حرمني اولاد النساء)⁽⁹²⁾.

5. والمتتبع لسيرة الرسول محمد(ص) يعلم جيدا بان الرسول محمد(ص) لو يكن في يوم ما يجري وراء المادة, بل انه رفض العرض المغربي الذي عرضه كبار رجال قريش إذ عرضوا عليه بان يعطوه المال والجاه والنساء -ان اراد-

⁸⁷ ابن هشام, السيرة, المصدر السابق, ص 189, ابن كثير, المصدر السابق, ص 294.

⁸⁸ دراسة تحليلية في السيرة النبوية عصر ما قبل الهجرة, الغدير للدراسات والنشر, عباس زرياب خوئي, (بيروت, 1997), ص 144, السيرة النبوية وكيف حرفها, المصدر السابق, ص 40-42.

⁸⁹ تاريخ يعقوبي, احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح يعقوبي, دار صادر, (بيروت, 1995), ج 1, ص 20.

⁹⁰ خصائص الإسلام وابطال خصومه, عباس محمود العقاد, المكتبة العصرية, (بيروت, د. ت), ص 191.

⁹¹ ابن كثير, المصدر السابق, ص 128.

⁹² المصدر نفسه.

مقابل ان يتخلى عن دينه, فرفض الرسول محمد(ص) ذلك العرض دون تردد. ولو كان هدف الرسول محمد(ص) هو الحصول على المال لما وجدنا زوجات الرسول محمد(ص) يطلبن منه بان يزيد من الانفاق عليهن, وكان في وسع الرسول محمد(ص) الحصول على الاموال بسهولة ويسر كيف ولا وهو بمثابة (رئيس دولة)-ان صح التعبير- فأمهلهن الرسول محمد(ص) شهرا وخيرهن بين ان يفارقه او يقبلن ما قبله لنفسه معهن من ذلك العيش الكفاف⁽⁹³⁾. ونتيجة لذلك نزلت هذه الآيات: (ا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا)⁽⁹⁴⁾.

6. وقد رد بعض المستشرقين والغربيين المنصفين على مثل هذه الاتهامات, فيقول الاستاذ (Meyer ميور): (ان الرسول لم يتمتع بتلك الثروة, ولم يتلذذ بها, بل قضى حياته فقيرا, ويروى انه مات ودرعه مرهونة وزواج اساسه المادة لا يمت إلى السعادة بشيء بينما نحن نعلم ان الرسول كان سعيدا مطمئنا خلال السنين الطوال التي قضاهها مع زوجته خديجة بالرغم من اضطهاد قريش وايدائها له, وطالما حن اليها بعد وفاتها, وذكرها بالخير وعرفان الجميل)⁽⁹⁵⁾.

وقال (Stoppart ستوبارت) بأن الرسول((في عصر شاع فيه تعدد الزوجات سواء بين الملوك والامراء ومن سبقه من الانبياء. ولكنه لم يجرح قلب خديجة ولم يثر غيرها بزواجه من امرأة في حياتها))⁽⁹⁶⁾. وقال آخر: ((ان زواج الرسول بخديجة كان فاتحة حياة زوجية سعيدة , إذ كان محمد مثال الوفاء بالرغم الفرق الكبير بينهم في السن))

وأكد الاستاذ (Lan Paul لان بول) بانه : ((لو صح ما نسب البعض من ان وفاء الرسول لخديجة لم يكن مبعثه الاخلاص فقط بل كان التهيب من مقامها المالي والاجتماعي خشية مطالبتها إياه بالطلاق لرأينا محمداً حمد الله على وفاتها. ويرمي بذلك العبء الثقيلة متهافتاً إلى حياة أكثر حرية ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك . إذن ما كان هذا الوفاء إلا نتيجة حب وشكر لها))

7. إضافة ان الرسول (ص) كان في كثير من أحاديثه يبحث على اختيار أمراه تتصرف بالدين والخلق , فقال الرسول محمد(ص) ((تنكح المرأة لأربعة لماها ولنسبها ولجمالها ولدينها كأظفر بذات الدين تربت يداك)) . فهل يعقل ان يخالج قول الرسول محمد(ص) فعله. وهو رسول الله , ويقتدي المسلمون به.

⁹³ . العقاد, المصدر السابق, ص 194.

⁹⁴ . سورة الاحزاب, الاية 28-29*

⁹⁵ . الجبري, السيرة, ص 80.

⁹⁶ . المصدر نفسه, ص 80-81.

وفي الختام اود ان اوضح اهم النتائج التي توصلت اليها, وهي:

1. ان حركة الاستشراق لم تكن وليدة العصر الحديث, ولم تظهر بصورة فجائية في هذا العصر, بل ترجع جذور هذه الحركة إلى العصور الوسطى الاوربية وابان الحروب الصليبية وبعدها.
2. كان للمستشرقين, في دراستهم للتاريخ الإسلامي بصورة عامة وللسيرة النبوية بصورة خاصة, اهدافا ودوافع, منها ما كانت استعمارية, واقتصادية, وسياسية, ومنها ما كانت دوافع علمية نزيهة.
3. حاول المستشرقون (المغرضون) التشكيك بالقران الكريم, فلم يفلحوا في مسعاهم هذا, فأتجهوا لدراسة سيرة الرسول محمد(ص) لتشويهها, معتمدين في دراستهم وابحاثهم على كتب مؤرخي الدولة البيزنطية ورجال الدين المسيحيين والقسس التي كانت فيها الكثير من الدس والتشويه لصورة الرسول محمد(ص). واعتمد المستشرقون ايضا على بعض الروايات الضعيفة التي تناقلتها المصادر الإسلامية وللأسف دون نقدها, ومعنى آخر ان المستشرقين اخذوا بالروايات الضعيفة والشاذة, وبواسطة هذه الروايات صوروا صورة الرسول محمد(ص) حسب هواهم, فجاءت ابحاثهم نتيجة لذلك مخيبة وبعيدة عن المنهج العلمي والحقيقة التاريخية.
4. هناك من المستشرقين من دفعهم حبهم للعلم إلى دراسة العالم الشرقي والإسلامي بشكل عام ودراسة سيرة الرسول محمد(ص) بشكل خاص, فكانوا منصفين في دراستهم للسيرة فجاءت ابحاثهم ودراساتهم علمية وموضوعية بعيدة عن التعصب الديني والهوى الجانح, وكثيرا ما ادى ببعض هؤلاء المستشرقين بعد البحث عن الحقيقة إلى ان يعتنق الإسلام.
5. والشيء الآخر الذي لا يمكن اخفائه, هو اننا يجب كطلاب علم ان لا ننكر دور المستشرقين وجهودهم الثمينة في الحفاظ على الكتب والمصادر الإسلامية من الضياع والتلف, وما قاموا به من فهرست لمعاني القران الكريم وترجمته, وجمع المخطوطات وفهرستها, وتحقيق الكتب ونشرها وترجمة العديد من الكتب العربية والإسلامية إلى العديد من اللغات الاوربية.

المصادر والمراجع

اولا: القران الكريم.

ثانيا: المصادر العربية .

1. ابن كثير, عماد الدين ابو الفداء ت (774)هـ, البداية والنهاية, دار الفكر,(بيروت, 1978).

2. ابن منظور, محمد بن مكرم الانصاري ت(711هـ).
3. ابن هشام, ابو محمد عبدالمملك بن هشام بن ايوب المعافيري(ت 218هـ), لسان العرب المحيط, دار الكتب العالمية,(بيروت, 1996).
4. ابن هشام, تهذيب سيرة ابن هشام, المجمع العلمي الإسلامي,(بيروت, د. ت).
5. الطبري, ابي جعفر محمد بن جرير(ت 310هـ), تاريخ الرسل والملوك, دار الفكر,(القاهرة, 1979).
6. يعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب, (ت 292 هـ), تاريخ يعقوبي, دار صادر,(بيروت, 1979).
7. بهاء الدين: محمد, الاستشراق واهداف الدراسات الاستشرافية الإسلامية, محاضرات القيت في دورة العلوم الشرعية في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في دهوك من 7/27 إلى 8/11 لعام 1996.
8. الجبري: عبد المتعال , السيرة النبوية واوهام المستشرقين, مكتبة وهبة(القاهرة, 1988).
9. _____ الاستشراق وجه الاستعمار الفكري, مكتبة وهبة, (القاهرة, 1995).
10. خليل , مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية, مكتبة التربية,(الرياض ض, 1995).
11. خليل: عماد الدين, دراسة في السيرة النبوية, مؤسسة الرسالة, (بيروت, 1982).
12. حوئي: عباس زرياب, دراسة تحليلية في السيرة النبوية (عصر ما قبل الهجرة, دار الغدير للنشر,(بيروت, 1997).
13. رضوان, عمر ابراهيم, اراء المستشرقين حول القران الكريم وتفسيره "دراسة ونقد", دار طيبة للنشر والتوزيع,(الرياض, د.ت).
14. الزركلي: خير الدين, الاعلام, دار العلم للملايين,(بيروت, 1980).
15. زقزوق: محمود حمدي, الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري, دار المنار,(القاهرة, 1989).
16. زكريا, هاشم, المستشرقون والإسلام,(القاهرة, 1965).
17. السباعي: مصطفى, الاستشراق المستشرقون ما لهم وما عليهم, المكتبة الإسلامية,(دم, 1985).
18. العاني : عبدالقهار داؤد. الاستشراق والدراسات الإسلامية, مطبعة العاني,(بغداد, 1983).
19. عتر: حسن ضياء الدين. وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين, دار الفتوى,(جده, د.ت).
20. العقاد, عباس محمود, حقائق الإسلام وابطال خصومه, المكتبة العصرية,(بيروت, د. ت).
21. العقيلي, نجيب, المستشرقون, دار المعارف, (القاهرة).
22. القفازي , ناصر بن عبدالله, الموجز في الاديان والمذاهب المعاصرة,(الرياض, 1992).
23. معاليقي, منذر, الاستشراق في الميزان, المكتب الاسلامي, (بيروت, 1997).
24. الميداني, عبدالرحمن حسن حنبلية, اجنحة المكر الثلاثة, دار القلم,(دمشق, 1994).
25. منعم, اميل در , حياة محمد ,نقله للعربية ,عادل زعيتر ,دار العالم العربي,(دي, 2013).

26. النبهان , محمد فاروق , الاستشراق تعريفه مدارسه اثاره , منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة

ايسيسكو, (الرباط, 2012)

27. الندوي , ابي الحسن ابي الحسين, النبوة والانبياء في ضوء القران, دار القلم, (دمشق, 1984)

ثالثا: الكتب المعربة

1. بروكلمان: كارل, تاريخ الشعوب الإسلامية, دار العلم للملايين, (بيروت, 1979).
2. بفاغوللر, غوستاف, سيرة الرسول في تصورات الغربيين, ترجمة محمود حمدي, مكتبة ابن تيمية (المخرف, 1986).
3. فوك , يوهان , تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والاسلامية في اوربا حتى بداية القرن العشرين, نقله عن الالمانية عمر لطفي العالم, دار المدار الاسلامي الطبعة الثانية (بيروت, 2001).
4. لوريون, غوستاف, حضارة العرب, ترجمة عادل زعيتر, دار احياء الكتب العربية, (القاهرة, 1948).

رابعا: الرسائل الجامعية

1. عبدالله, ابراهيم عبد الكريم, اراء المستشرق ريجيس بلاشير في الوحي المكّي والمدني من خلال كتابة القران "دراسة تقويمية" رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية, (الرياض, 1414هـ).
2. بوكاري, مصطفى الحاج مالك, الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ عهد النبوة, (د.م, 1992).

خامسا: الدراسات

1. مجلة الاديب الكردي, تصدر عن اتحاد الادباء والكتاب الكردي, العدد (2), (بغداد, 1986).
2. مجلة الاستشراق, العدد(1), دار الشؤون الثقافية العامة, (بغداد, 1987).
3. مجلة عالم الفكر, العدد(4), مطبعة حكومة الكويت, (الكويت, 1978).
4. مجلة الجامعة الاسلامية, العدد(147), (المدينة المنورة, 1430هـ).

سادسا: المعاجم

- 1- معجم اسماء المستشرقين, يحيى مراد , منشور ع الموقع الالكتروني WWW.Kotobarabia.com